أيها الفقهاء.. عفوا

المدعون للمعرفة.. ومعرفة بواطن الأمور ودهاليز السياسة والفن وأسرار المجتمع والدين، تراهم لامعين ومفوهين.. فى كل منتدى متحدثون.. على الفضائيات جاذبون وجالبون للإعلان.. يفرقعون المانشيت فى الجور نال.. يبيعون كل شيء من أجل الشهرة والسلطان.. نقول لهؤلاء عفوا.. دعوا هذه القنوات.. واتركوا المنتديات حتى تكون أكثر تفاعلية.. وفروا أوراق جرائدكم.. لأقلام نتمنى قراءتها وأخذتم منها الأوراق.. فى كل أمة أمثال هؤلاء الظرفاء المهرجون المزيفون فى الفن والسياسة والمجتمع حتى فى الدين.. ولكن فى المقابل الجادين من العلماء والمفكرين والعاملين.. تنويرون ومطورون.. لامعين كذلك وممهدة لهم الأرض للحرث والإبداع وإضافة كل ما هو قيم وجديد.. فى كل أمة تتفاعل كل الأضاد.. إلا فى مجتمعاتنا العربية.. يطغى الهزل والتافه والجهل والجاهل الظريف والمهرج و يكون هو السائد ولا تستطيع أن ترى غيره.. هنا يجب أن نتوقف بسرعة وبحزم.. إلا لن يكون الأمر، كما هو الحال من التأخر بهذه المسافة الشاسعة بيننا وبين الغرب ليس فى العلم والفكر وإتقان العمل و فى القيم التى كنا نتميز بها عن الغرب عموما.. بل ستتسع الهوة إلى ما هو أسوأ.. فماذا.. ؟ - هل ننتظر الكارثة.. عندما يتصدر العرب قوائم الفقر والجهل والمرض والفساد قبل كثير من دول العالم حتى اجتمع هذا الثالوث المخيف فى دولة واحدة.. وعندما يكون الجدل واللغط والهوى السياسى وتمجيد المصلحة الشخصية فوق المصلحة العامة، وعندما تثار القضايا التى لا تخدم الوحدة والتطور وتصب فى إثارة الفتن وزعزعة المجتمع والعقيدة وثوابت القيم.. وعندما تضيع الرؤى المنهجية والنقد البناء ولا يتبقى سوى الصراخ والشتم والرغبة فى التغيير لا من أجل التطوير والتقدم، ويلعن الجميع بعضه فلا بد من التوقف..

وعلينا طرح الأسئلة.. لماذا ساد هذا المناخ الفوضوى فى حياتنا، والذى أنعكس فى معاملة الآخر لنا ؟ .. ولماذا تاهت رسالة الفن والطب والتعليم والأمانة والإتقان والاجتهاد والتنوير ومواضع القيادة والقدوة الحسنة، وأصبح أهلها ليسوا بعيدين عن الشبهات، وضالعين فى المسؤولية عن هذا الهزل ؟ .. ولماذا سكت المدعون (أنصار) الحرية فى العالم عن إسرائيل وهى تنتهك حق الإنسان الفلسطيني كل صباح ؟ ! .. ولماذا الهجوم على مصر فى هذا التوقيت ؟ .. وهل هذه تغطية منظمة على إسرائيل حتى يتسنى لها فرض سلام الأمر الواقع فى اللحظات الأخيرة ؟ ..وماذا كان رد الفعل لمنظمات حقوق الحيوان والإنسان فى العالم لو فرم عربى مسلم قطة تحت عجلات سيارته، كما فعل مستوطن إسرائيلى فى مواطن فلسطينى على مرئى ومسمع من العالم أجمع ؟ .. ولماذا هاج فقهاء التحليل والتحريم باسم الدين وحرموا إنشاءات هندسية تقوم بها مصرا على حدودها لاستعادة النظام.. وحللوا الفوضى وسفك الدم باسم الأخوة و لم يتحرك لهم ساكن والسدود وحواجز مياه النيل فى منابعه لتعطيش الشعب المصري ؟! .. وهل آن الأوان لفضح مروجى شائعات الفتنة الطائفية بأدلة مؤكدة عن المحرض والممول والمستفيد حتى يصغر هذا المهرجان عندما تحدث حادثة فى المجتمع يكون طرفاها مسيحى ومسلم ؟ ..

ولماذا يعتمد الأعلام العربى على إثارة الجدل فى قضايا مثلها كقوله الحق المراد بها باطل ؟ .. مائة سؤال يجب أن يطرح من أحداث اليوم ويحلل جيدا حتى نصل لجواب يفعل المزيد من الاستقرار والأمن والتقدم والسلام وليس العكس.. أم أننا سنظل فى عربة القطار التى انفكت عن قطارها دون فعل شىء لإنقاذها، ونظل ننتظر قدرنا المحتوم بين أن تتوقف القاطرة بسلام مهما بعدت عن الركب.. أو أن تخرج عن القضبان..

الشيطان يموت ضحكا..

حيث يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه.. يموت ضحكا من فرط ما يرى من تناقضات في سلوكنا وعقولنا في هذا العالم العربي العجيب... يحلوا للحكام العرب أن يحكموا بقانون الطوارئ سنوات الحب العذري بينهم وبين شعوبهم وسنوات الغزل الصريح..وعندما ينفرط العقد وتتحول الحياة إلى فوضى ويصبح الأمر طارئا.. يحل قانون الطوارئ.. يموت الشيطان ضحكا عندما ينام الحكام العرب عن أي إصلاحات، أو تغيير السياسية تتطلبه طبيعة التطور الحياتي والفكري حتى وأن ساروا في الحكم نصف قرن وقرن هم وأبنائهم ويفيقون على ثورة لا يدركونها حتى بما أعلنوه من إصلاحات.. يموت ضحكا عندما يرى الثائرون من أجل الحرية ينقلبون عليها بقوانين مكبلة لها بحجة مؤقتة، لأنه يعلم أن كل القوانين المكبلة للحريات والدا عمة للفساد في عالمنا العربي. كانت مؤقتة،حتى قانون الطوارىء الزاي دام عشرات السنين كان مؤقتا .. يموت ضحكا من إعلان السلفيين للخلافة، خلافة من ؟ الله أعلم.. ويقومون بتأسيس أحزاب سياسية بأسماء حركية بينما الجميع يعرف أنها تمثيلا لجماعات إسلامية وتيارات طائفية، فيفسدون دعوتهم بالساسة، ويفسدون الساسة بالدعوة، ويفسدون الحياة بالخلط بين الاثنين.. يموت الشيطان ضحكا وهو يرانا ونحن ننسب إلى أللهو الخفي أو للأيادي الخفية المندسة بين الجماهير التي تطالب بإصلاحات سياسية أو فئوية وننسب له ما نعجز عن مواجهته..لكنه يتوقف فجأة عن الضحك وهو يرانا نعشق الضحك على أنفسنا ونحن نعلم أننا نضحك على أنفسنا..يتأملنا ربما نكون أزكى منه، أو ندبر من الأمر شيئا.. لكنه يستلقى على قفاه ضحكا .عندما يرانا ندور في نفس الساقية، ونمارس نفس الفكر.. يتعجب شيطاننا منا وهو يرانا قد جعلنا أفكارنا وثقافتنا دوائر حلزونية تدور فينا و ندور فيها.. وكلما تكاد أن تنفجر منا، انفجرنا نحن فيها.. لتتكون ثانية أو نكونها بأيدينا، ونظل ندور بها وتدور فينا آلاف السنين.. مهما تغير العالم من حولنا، أو تغيرت.. يستلقى الشيطان ضاحكا وهو يرانا نصنع جلادينا ومصاصي دمائنا، ونبدأ من حيث بدا أجدادنا، وننتهي إلى حيث بدأت أيادينا..
لكنه لا يمل أن يخشى القادم منا، ربما يستطيع أن يحول هذه الدوائر إلى خطوط هندسية تعلو بنا فوق الأمم يوما.. وتعرج بنا إلى المساواة يوما أخر.. أو حتى تهبط بنا إلى ما دون ذلك.. ربما نخرج من دوامتنا يوما.